

اَلتَّعَارُفُ

لِلْمُبْتَدِئِيْنَ فِي سُلُوْكِ التَّصَوُّفِ

تأليف

عمادالدين سبط عثمان البنتني الجاوي الاندونيسي
الشافعي الأشعري القادري خادم طلبة العلم في المعهد
الإسلامي نهضة العلوم جمفاكا كريشيك تنجرانج
بنتن إندونيسيا

الطبعة الأولى ١٤٤٣ ه



مكتبة نهضة العلوم

بنتن إندونيسيا

اَلتَّعَارُفُ

لِلْمُبْتَدِئِيْنَ فِي سُلُوْكِ التَّصَوُّفِ

تأليف

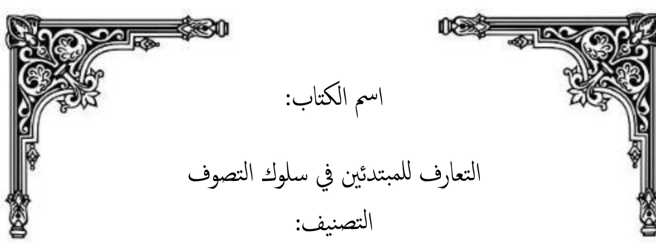
عمادالدين سبط عثمان البنتني الجاوي الإندونيسي الشافعي

الأشعري القادري خادم طلبة العلم في المعهد الإسلامي

نهضة العلوم جمفاكا كريشيك تنجرانج بنتن

إندونيسيا

١٤٤٣



اسم الكتاب:

التعارف للمبتدئين في سلوك التصوف

التصنيف:

علم التصوف

المؤلف:

عمادالدين سبط عثمان البنتني الجاوي الإندونيسي

الناشر:

مكتبة نهضة العلوم بنتن

عدد الصفحات:

54

قياس الصفحات:

15*21

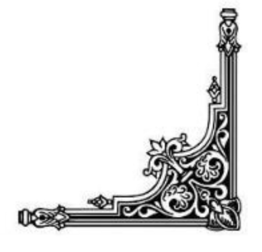
بلد الطباعة:

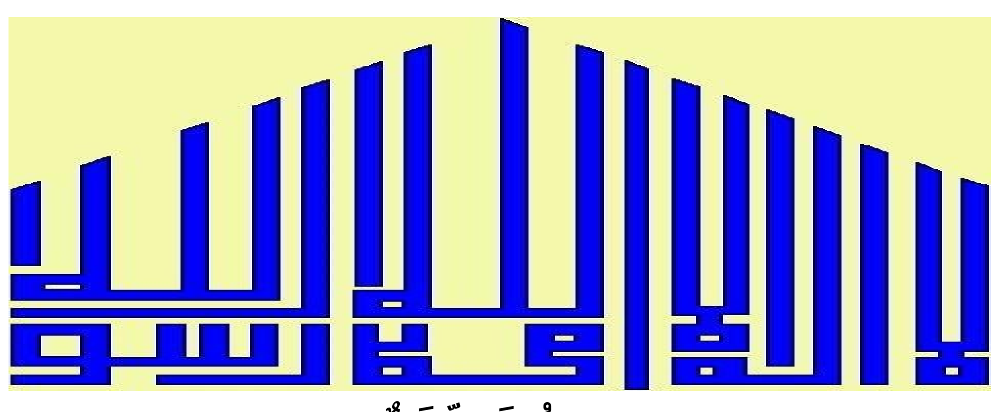
بنتن إندونيسيا

الطبعة:

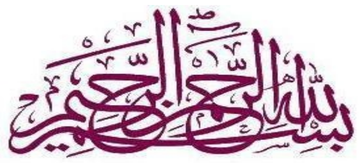
الأولي-١٤٤٣ هـ







مُقَدِّمَةٌ



الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين و على آله و أصحابه الطيبين الطاهرين، أما بعد :

فيقول الفقير عماد الدين الجمفاكي البنتني: هذا كتاب يشتمل على ما يحتاج إليه الراغبون في علم التصوف. و ليس لي فيما سطر شيء إلا مجرد النقل من كتب المؤلفين العاملين بعلومهم.

ثم لا يخفي من كل شيء عيب لا سيما ما بدا من شاب لم يبلغ ثلاثين سنة مثلي. فبذلك بانشراح صدري و صفوة قلبي أرجو منكم معاشر المشايخ العظام و الإخوان الكرام إن وجدتم فيه عيبا نقصا من حرف أو كلمة أو كدرا من تركيب مفيد أو زيغا عن فهم صحيح أن تصلحوا إليه بعد جد تأمل و استفراغ فكر.

والله أسأل أن ينفع به لي و لجميع من اطلع به في دار الأكدار و الأغيار و في دار لا ينفع فيه مال ولا بنون، وأن يرزقني التوفيق و العناية على تتميم هذا الكتاب، لأنه لاحول و لا

قوة إلا بالله العظيم، وأن يحسن نيتي في كتابة هذا الكتاب حتى يكون خالصا مخلصا لوجهه الكريم لأنه قد ورد عن النبي ﷺ حديث رواه إماما المحدثين البخاري و مسلم عن أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: {إنما الأعمال بالنيات، و إنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله و رسوله فهجرته إلى الله ورسوله، و من كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها -وفي رواية ينكحها- فهجرته إلى ما هاجر إليه}.

قال الشيخ أحمد بن حجازي الفشني: النية رأس الأعمال كلها، و هي الأساس، و على الأساس قواعد البنيان، فمن فتح على نفسه باب حسنة فتح الله عليه سبعين بابا إلى التوفيق، و من فتح على نفسه باب سيئة فتح الله عليه سبعين بابا إلى الخذلان، فباب الحسنة من حسن النية، و باب السيئة من سوء النية. اهـ

ثم اعلموا معاشر الإخوان أنه قد بدا في هذا الزمان فتن عظيمة يتعسر أحد أن يجتنب عنها إلا من شاء الله تعالى و اصطفى إليه. وأنه قد عادت الجاهلية في زماننا هذا باسم آخر و صورة أخرى. الكريم فيه من له مال و جاه و لو جاهلا فاسقا، و العالم العامل الصالح الورع فيه كرجل غريب في دار غريبة الزانية و الزاني فيه كالعروسين يكرمان و يباهان و لا يستحيان، و ولد الزنا يولد كل يوم.

العلماء فيه كعوامهم يحبون الدنيا و يطلبونها كطلب الصبي ثدي أمه و يزدحمون بها و يستبقون بها مع جيرانهم كما تسبق الخيل في الميدان الذي لا نهاية له.

و يفرحون إذا دعي أحدهم باسم العالم ثم لا يتخلق بأخلاق العلماء، و ربما يبيع أحدهم بعلومه و دينه ثمنا قليلا، معاذ الله، و يتردد إلى الأمراء ليلا ونهارا، و يجلس أمام بيت الأمير ينتظره، و الأمير نائم، و ما ذاك إلا كالحمار يحمل أسفارا، و ليس علمه إلا هباء منثورا لا ينفع لهم فضلا عن غيرهم.

أولئك هم المغترون بعلومهم، و ربما ظنوا أنهم عند الله بمكان، و أنهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم، بل يقبل شفاعتهم في الخلق و لا يطالبهم بذنوبهم و خطاياهم، معاذ الله.

فحسن أن ندرج إلى ما درج إليه سلفنا الصالح من أخلاقهم الصالحة و مناقبهم المحمودة المنتشرة فكتابي هذا إن شاء الله يحمل على ذلك، غير أني أذكر أولا فصولا تشتمل على مباحث علم التصوف: من حده و وضعه و تاريخه، إن أردت إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا باالله، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم .

باب: في علم التصوف

فصل: في اشتقاقه

اختلف العلماء في اشتقاقه على أقوال كثيرة:

منها: أنه من الصوف، روي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ يجيب دعوة العبد و يركب الحمار و يلبس الصوف، فمن هذا الوجه ذهب قوم إلى أنهم سموا صوفية نسبة لهم إلى ظاهر اللبسة لأنهم اختاروا لبس الصوف لكونه أرق و لكونه كان لباس الأنبياء.

و منها: أنه من الصف، لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل بارتفاع هممهم و إقبالهم على الله تعالى بقلوبهم و وقوفهم بسرائرهم بين يديه.

و منها: أنه من الصفة التي كانت لفقراء المهاجرين على عهد رسول الله ﷺ، الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض﴾ { البقرة: ٢٧٣ } و كانوا نحوا من أربعة مائة رجل لم تكن لهم مساكن بالمدينة و لا عشائر، و كان رسول الله ﷺ يحث الناس على مواساتهم و يجلس معهم و يأكل معهم، و فيهم نزل قوله

تعالى: ﴿و لا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة و العشي يريدون وجهه﴾ { الانعام: ٥٢ } و قوله تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة و العشي﴾ {الكهف: ٢٨}.

ومنها: أنه من الصوفة، كما يقال: كوفي نسبة إلى كوفة، لأنه مع الله كالصوفة المطروحة لا تدبير له، أو من صوفة القفا للينها، فالصوفي هين لين كهي.

فصل: في حده

هو علم يعرف به أحوال النفس محمودها و مذمومها و كيفية تطهيرها من المذموم منها و تحليتها بالاتصاف بمحمودها و كيفية السلوك و السير إلى الله تعالى و الفرار إليه.

قال الجنيد قدس الله سره: التصوف هو أن يميتك الحق عنده و يحييك به.

و قال بشر بن الحارث: الصوفي من صفا قلبه لله تعالى.

و قال عمر بن عثمان المكي رحمه الله تعالى: التصوف هو أن يكون العبد في كل وقت بما هو أولى به في الوقت.

و قال رويم: التصوف مبني على ثلاث خصال: التمسك بالفقر و الافتقار، و التحقق بالبذل و الإيثار، و ترك التعرض و الاختيار.

و قال سهل: الصوفي من صفا من الكدر و امتلأ من الفكر و استوى عنده الذهب و المدر و انقطع إلى الله من البشر.

و قال معروف الكرخي: التصوف الأخذ بالحقائق، و اليأس مما في أيدي الخلائق، فمن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بالتصوف.

و قيل انه: الدخول في كل خلق سني، و الخروج من كل خلق دني.

و قيل: هو أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم مع قوم كرام.

و قيل: أن لا تملك شيئا ولا يملكك شيء.

و قيل: استرسال النفس مع الله على ما يريد.

و قيل: ذكر مع اجتماع و وجد مع استماع و عمل مع اتباع.

و قيل: الإناخة على باب الحبيب و إن طرد عنه.

و قيل: صفوة القرب بعد كدرة البعد.

و قيل: الجلوس مع الله بلا همّ.

و قيل: هو العصمة عن رؤية الكون.

فالحاصل: أن التصوف هو العلم و العمل معا لابتغاء وجه الله وحده بترك ما يشغل عنه.

فصل: في واضعه

واضع هذا العلم فهو النبي ﷺ علمه الله بالوحي والإلهام، فنزل جبريل عليه السلام أولا بالشريعة فلما تقررت نزل ثانيا بالحقيقة.

فصل: في موضوعه

فهو الذات العلية، لأنه يبحث عنها باعتبار معرفتها إما بالبرهان أو بالشهود و العيان، فالأول للطالبين، و الثاني للواصلين.

و قيل: موضوعه النفوس و القلوب و الأرواح، لأنه يبحث عن تصفيتها و تهذيبها، و هو قريب من الأول لأن من عرف نفسه عرف ربه.

فصل: في استمداده

فهو مستمد من الكتاب و السنة و إلهامات الصالحين و فتوحات العارفين.

فصل: في حكم الشارع فيه

فقال الغزالي: انه فرض عين إذ لا يخلو أحد من عيب أو مرض إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

و قال الشاذلي: من لم يتخلل في علمنا هذا مات مصرا على الكبائر و هو لا يشعر.

فصل: في نسبته من العلوم و الدين

و أما نسبته من العلوم فهو كلي لها و شرط فيها، إذ لا علم و لا عمل إلا بصدق التوجه إلى الله تعالى، فالإخلاص شرط في الجميع، هذا باعتبار الصحة الشرعية و الجزاء و الثواب.

و أما باعتبار الوجود الخارجي فالعلوم توجد في الخارج بدون التصوف لكنها ناقصة أو ساقطة. و لذلك قال السيوطي: نسبة التصوف من العلوم كعلم البيان من النحو، يعني هو كمال فيها و محسن لها.

و قال الشيخ زروق رحمه الله تعالى: نسبة التصوف من الدين نسبة الروح من الجسد لأنه مقام الإحسان الذي فسره رسول الله ﷺ لجبريل: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، إذ لا معنى له سوى ذلك، قال الله تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين﴾ {البينة:٥}.

فصل: في فائدته

و أما فائدته فتهذيب القلوب و معرفة علام الغيوب، أو تقول: ثمرته سخاوة النفوس و سلامة الصدور وحسن الخلق مع كل مخلوق.

باب : في العلماء و التصوف

قال الله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء. {فاطر:٢٨}

وقال ﷺ: {العلماء ورثة الأنبيا} رواه أبو داود.

فالعلماء بعلومهم يعلمون ما يجب عليهم من الخشية لله تعالى، و بوراثتهم الأنبياء حصل لهم المرابطة الباطنية و الظاهرية بهم، و من ثم لما كان التصوف طريقا إلى الوصول إلى الله و تخلقا بأخلاق النبي ﷺ، فالعلماء أحق بالتصوف من غيرهم.

وأما فضائل العلماء فأكثر من أن تحصى وأعظم من أن تستقصى من الآيات والأحاديث النبويات و لنتبرك بذكر شيء منها :

قال الله تبارك وتعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط﴾ {العمران:١٨}.

وقال تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ {المجادلة: ١١}.

وعن معاوية بن أبي سفيان ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: {من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين} رواه البخاري و مسلم.

و عن أبي الدرداء ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: {من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، و إن العالم ليستغفر له من في السموات و الأرض حتى الحيتان في الماء، و فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، و ان العلماء ورثة الأنبياء لأن الأنبياء لم يورثوا دينارا و لا درهما إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر} رواه أبو داود و الترمذي و ابن ماجه و ابن حبان في صحيحه.

و عن أنس ﵁ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: { إن الحكمة تزيد الشريف شرفا و ترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك} رواه أبو نعيم في الحلية بإسناد ضعيف.

و قال ﷺ: {أفضل الناس المؤمن العالم الذي إن احتيج إليه نفع و إن استغنى عنه أغنى نفسه}.

و قال ﷺ: {أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم و الجهاد، أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل، و أما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل}

و قال ﷺ: {لموت قبيلة أيسر من موت عالم}.

و قال ﷺ: {يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء}.

وقال ﷺ: {من تفقه في دين الله عز وجل كفاه الله تعالى ما أهمه و رزقه من حيث لا يحتسب}.

و قال ﷺ: {أوحى الله عز و جل إلى إبراهيم عليه السلام : يا إبراهيم إني عليم أحب كل عليم}

و قال ﷺ:{العالم أمين الله سبحانه في الأرض}.

و قال ﷺ: {يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء}

و قال ﷺ: {ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في الدين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه} وقال عليه الصلاة والسلام: {نوم العالم خير من عبادة الجاهل}.

و قال النبي ﷺ: {خير الدنيا و الآخرة مع العلم، و شرف الدنيا و الآخرة مع العلم، و العالم الواحد أكبر من جهة الفضل عند الله تعالى من ألف شهيد}.

و قال عليه الصلاة والسلام: {إن الله خلق تحت العرش مدينة مكتوبا على بابها :من زار العلماء فكأنما زار الأنبياء}.

و قال ﷺ:{جلوس ساعة عند العلماء أحب إلى الله من عبادة ألف سنة}.

و قال ﷺ:{ما من مؤمن يحزن بموت عالم إلا كتبه الله تعالى له ثواب ألف عالم و ألف شهيد}.

و قال عليه الصلاة والسلام: {موت العالم موت العالم}

و قال عليه الصلاة والسلام: {سيأتي زمان على أمتي يفرون من العلماء و الفقهاء فيبتليهم الله بثلاث بليات: أولاها يرفع الله البركة من كسبهم، و الثانية يسلط الله عليهم سلطانا ظالما، و الثالثة يخرجون من الدنيا بغير إيمان}. و غيرها من الأحاديث الواردة من رسول الله ﷺ في فضيلة العلماء، فبجميع ما ورد عنه ﷺ حق عليهم أن يعملوا بعمل التصوف حتى لا يكون العامل به زنديقا بجهالته ما يجب عليه من المفروضات و لا يشتغل به عنها فضل و اغتر.

و لذا قيل: من تصوف و لم يتفقه فقد تزندق، و من تفقه و لم يتصوف فقد تفسق، و من جمع بينهما فقد تحقق.

فصل: المراد بالعلماء علماء الآخرة

العلماء قسمان: علماء الدنيا و علماء الآخرة و المراد بعلماء الدنيا علماء السوء.

و إذا أطلق فضل العلماء فالمراد بهم علماء الآخرة.

و قد ورد في علماء السوء تشديدات عظيمة دلت على أنهم أشد الخلق عذابا يوم القيامة. فمن المهمات العظيمة معرفة العلامات الفارقة بين علماء الدنيا و علماء الآخرة.

قال ﷺ: {إن أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه بعلمه} .

فصل في علامات علماء الآخرة

الأول: أن يكون بعلمه عاملا لقوله ﷺ: {لايكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا}، رواه البيهقي عن أبي الدرداء، وفي رواية: {لا يكون الرجل عالما حتى يكون متعلما و لا يكون عالما حتى يكون بالعلم عاملا}، رواه أبو الليث السمرقندي.

الثاني: أن لا يكتم بعلمه عند من يحتاج إليه لقوله ﷺ:{من كتم علما عنده ألجمه الله بلجام من نار}

الثالث: أن لا يكون فاسقا قال ﷺ» :يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق«، رواه الحاكم.

الرابع: أن لا يباهي بعلمه العلماء و لا يماري به السفهاء و لا يصرف به وجوه الناس إليه لقوله ﷺ» :لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء و لتماروا به السفهاء و لتصرفوا به وجوه الناس إليكم، فمن فعل ذلك فهو في النار« رواه ابن ماجه من حديث جابر باسناد صحيح.

الخامس: أن لا يدخل في الدنيا لقوله ﷺ» :العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان و يدخلوا في الدنيا فإذا دخلوا في الدنيا فقد خانوا الرسل فاعتزلوهم و أنذروهم« رواه أبو الليث السمرقندي.

عن أنس بن مالك ﷺ قال الحسن: هل رأيت فقيها قط، إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بذنبه المداوم على عبادة ربه.

و يقال: إذا اشتغل العلماء بجمع الحلال صار العوام أكلة الشبهة، و إذا صار العلماء أكلة الشبهة صار العوام أكلة الحرام، و إذا صار العلماء أكلة الحرام صار العوام كفارا. قال الفقيه أبو الليث السمرقندي: لأن العلماء إذا جمعوا الحلال فالعوام يقتدون بهم في الجمع و لا يحسنون العلم فيقعون في الشبهة، و أما إذا أخذ العلماء من الشبهة و تحرزوا عن الحرام فيقتدي بهم الجهال و لا يميزون بين الشبهة و الحرام فيقعون في الحرام، و أما إذا أخذ العلماء من الحرام فيقتدي بهم الجهال و يظنون أنه حلال فيكفرون إذا استحلوا الحرام.

وقال الفضيل ابن عياض رحمه الله : إني لأرحم ثلاثة: عزيز قوم ذل، و غني قوم افتقر و عالما تلعب به الدنيا.

وقال الحسن: عقوبة العلماء موت القلب، و موت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة.

و في أخبار داود ﷺ حكاية عن الله: إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا آثر شهوته على محبتي إن أحرمه لذيذ مناجاتي، يا داود لا تسأل عني عالما قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتي، أولئك قطاع الطريق على عبادي، يا داود إذا رأيت لي طالبا فكن له خادما، يا داود من ود إلي هاربا كتبته جهبذا ومن كتبته جهبدا لم أعذبه أبدا.

قال يحيى بن معاذ: إنما يذهب بهاء العلم والحكمة إذا طلب بهما الدنيا.

وقال عمر رحمه الله تعالى: إذا رأيتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فإن كل محب يخوض فيما أحب.

السادس: أن لا يخالط السلطان لقوله السابق ﷺ: »العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان«، الحديثَ.

وقال سعيد بن المسيب: إذا رأيتم العالم يغشى باب الأمراء فهو لص.قال بعض أمير مصر: أنا لا أعتقد في مشايخ مصر الآن، و لو مشى أحدهم في الهواء، فقيل له: لماذا؟ لأني رأيتهم يجتهدون في طلب الدنيا أكثر مما نجتهد نحن فيها.

قال عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى: ومن أخلاقهم أي السلف الصالح هجرهم لأخيهم إذا خالط الأمراء وتردد إلى أبوابهم لغير ضرورة شرعية ولا لمصلحة كقيامه بالأمر

بالمعروف و نحوه عملا بحديث: »إن في جهنم واديا يقال له: هيهب، أعده الله للجبارين و القراء المداهنين الذين يدخلون على أمراء الجور، انتهى.

و قد قال والي البصرة يوما لمالك ابن دينار رحمه الله تعالى: أتدري ما الذي جرأك علينا في إغلاظك القول و عدم قدرتنا على مقابلتك؟ عدم طمعك فيما بأيدينا و زهدك فيه.

و كان الفضيل ابن عياض رحمه الله تعالى يقول: لو استأذن علي هارون الرشيد ما أذنت له إلا أن أغلب على ذلك، فكيف بمن هو يذهب إليه من هؤلاء العلماء. ويقول رحمه الله تعالى أيضا: لا يصلح أن يدخل على الأمراء و يخالطهم إلا مثل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، و أما أمثالنا فلا يصح له الدخول عليهم لعجزه عن مواجهتهم بالنصح و الإنكار عليهم فيما يراه منهم من الظلم و الجور و نحوه.

فإن قلت: كيف إذا دخل العالم الى السلطان العالم؟ قلت: إذا دخل مع العزة و الهيبة و الاستقامة لمذاكرة العلم أو للنصح له بغير المسألة منه أو بدعوة منه فلا بأس.

و إن قلت: هل يجوز للعلماء أن يكونوا أمراء أو أهل الحل و العقد أو قضاة؟ قلت: إن ظنوا به خيرا لهم و لدينهم و للمسلمين مع القصد به ابتغاء وجه الله و إعلاء دينه القويم و تطبيق شريعته فلا بأس، و متى انتفى الشرط انتفى المشروط.

و كان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول لعلماء الدنيا: يا أصحاب العلم قصوركم قيصرية، و بيوتكم كسروية، و أثوابكم ظاهرية، و أخفافكم جالوتية، و مراكبكم قارونية، و أوانيكم فرعونية، و مآثمكم جاهلية، و مذاهبكم شيطانية، فأين الشريعة المحمدية.

السابع: أن لا يخالف فعله قوله، بل لا يأمر بالشيء ما لم يكن هو أول عامل به. اللهم تصدق علينا هذا الخلق النفيس حتى لا تفضحنا يوم القيامة على رؤوس الأشهاد فنكون من الملومين، اللهم اللهم اللهم يا رسول الله يا جد الحسين يا شمس يا بدر يا نور فوق نور يا أولياء الله الذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون كيف أنا كيف أنا كيف أنا إلا بمغفرتك إلا بشفاعتك إلا بشفاعتكم، وا عماداه كيف تكون ذلك اليوم بما تكون فيه الآن.

الثامن: أن تكون عنايته بتحصيل العلم النافع في الآخرة المرغب في الطاعة مجتنبا من العلوم التي يقل نفعها و يكثر فيها الجدال و القيل و القال.

التاسع: أن يكون غير مائل إلى الترفه في المطعم و المشرب و التنعم في الملبس و التجمل في الأثاث و المسكن، بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك، و يتشبه فيه بالسلف رحمهم الله تعالى، و يميل إلى الاكتفاء بالأقل في جميع ذلك، و كلما زاد إلى طرف القلة ميله ازداد من الله قربه، وارتفع في علماء الآخرة حزبه.

العاشر: أن لا يكون مسارعا إلى الفتيا، فإن سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب الله أو بنص حديث أو إجماع أو قياس جلي أفتى، و إن سئل عما يشك فيه قال: لا أدري، و إن سئل عما يظنه باجتهاد و تخمين احتاط و دفع عن نفسه و أحال على غيره.

الحادي عشر: أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين، فإن اليقين هو رأس مال الدين. قال رسول الله ﷺ »اليقين الإيمان كله«، و معناه: جالسوا الموقنين و استمعوا منهم علم اليقين و واظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما قوى يقينهم، و قليل من اليقين خير من كثير من العمل.

الثاني عشر: أن يكون حزينا منكسرا مطرقا صامتا يظهر أثر الخشية على هيئته و كسوته و حركته و سكونه و نطقه و سكوته لا ينظر إليه ناظر إلا و كان نظره مذكرا لله تعالى و كانت صورته دليلا على عمله.

الثالث عشر: أن يكون أكثر بحثه عن علم الأعمال و عما يفسدها و يشوش القلوب و يهيج الوسواس و يشير الشر، فإن أصل الدين التوقي من الشر.

الرابع عشر: أن يكون اعتماده في علومه على بصيرته و إدراكه بصفاء قلبه لا على الصحف و الكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره.

الخامس عشر: أن يكون شديد التوقي من محدثات الأمور و إن اتفق عليها الجمهور، فلا يغرنه إطباق الخلق على ما أحدث بعد الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

و ليكن حريصا على التفتيش عن أحوال الصحابة و سيرتهم و أعمالهم و ما كان فيه أكثر هممهم، أكان في التدريس و التصنيف و المناظرة و القضاء و الولاية و تولي الأوقاف و الوصايا وأكل مال الأيتام و المعاهد و مخالطة السلاطين و مجاملتهم في العشرة، أم كان في الخوف و الحزن و التفكر و المجاهدة و مراقبة الظاهر و الباطن و اجتناب دقائق الإثم و جليله و الحرص على إدراك خفايا شهوات النفوس و مكايد الشيطان إلى غير ذلك من علوم الباطن.

و من علامات علماء الآخرة خمسة أشياء تفهم من خمسة آيات من كتاب الله : الخشية و الخشوع و التواضع و حسن الخلق و إيثار الآخرة على الدنيا و هو الزهد.

فأما الخشية فمن قوله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ {فاطر:٢٨}.

و أما الخشوع فمن قوله تعالى: ﴿خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا﴾ {ال عمران:١٩٩}.

وأما التواضع فمن قوله تعالى: ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ {الحجر:٨٨}.

وأما حسن الخلق فمن قوله تعالى: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾ {ال عمران:١٥٩}.

وأما الزهد فمن قوله تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ (الانعام: ١٢٥}. اهـ.

باب : في الشريعة و الطريقة و الحقيقة

مثلوا الشريعة بالسفينة في أنها سبب في الوصول إلى المقصد، و الطريقة بالبحر في أنها محل للمقصد، و الحقيقة بالدر في الانتفاء و العلو.

فلا يصل الشخص للحقيقة التي هي الدر إلا بعد وصوله للبحر الذي هو محله و لا يصل له إلا بالسفينة.

ومثل بعضهم الثلاثة بالجوز، فالشريعة كالقشر، و الطريقة كاللب، و الحقيقة كالدهن، فلا يتوصل للدهن إلا بعد الوصول للب و لا يتوصل له إلا بعد الوصول للقشر.

فصل: في الشريعة

هي الأحكام المنزلة على رسول الله ﷺ التي فهمها العلماء من الكتاب و السنة نصا أو استنباطا، أعني الأحكام المبنية في علم التوحيد و علم الفقه و علم التصوف.

و قال السيد بكري المكي رحمه الله تعالى: إن الشريعة أخذه و اتباعه لدين الإله، و امتثاله للمأمورات، و اجتنابه للمنهيات، هذا ما أشار إليه الشيخ زين الدين بن علي المعبري المليباري في هداية الأذكياء :

فشريعة أخذ بدين الخالق ۞ و قيامه بالأمر و النهي انجلا

و قال السيد بكري رحمه الله تعالى أيضا: الحقيقة بلا شريعة باطلة، و الشريعة بلا حقيقة عاطلة.

مثال الأول أن تقول لشحص: صل، فيقول لك: لا حاجة إلى الصلاة لأن السعيد سعيد الأزل فإن كنت سعيدا دخلت الجنة و إن لم أصل و إلا دخلت النار و إن صليت.

و مثال الثانية من يعمل لأجل الجنة و يقول: لولا عملي لما دخلتها، فهذه شريعة عاطلة، و معنى كونها عاطلة أن وجودها كعدمها لأن دخول الجنة بفضل الله للحديث الشريف. اهـ .

و قال الشيخ علي بن الهيني: الشريعة ما ورد به التكليف، و الحقيقة ما حصل به التعريف، فالشريعة مؤيدة بالحقيقة، و الحقيقة مقيدة بالشريعة، و الشريعة وجود الأفعال لله و القيام بشروط العلم بواسطة الرسل، و الحقيقة شهود الأفعال بالله تعالى و الاستسلام لغلبات الحكم بتقدير لا بواسطة. اهـ .

فصل: في الطريقة

قال الشيخ نووي البنتني: الطريقة اعتماد السالك على حالة شاقة كرياضة أي تذليل النفس من قلة أكل و شرب و نوم و من تباعد عن فضول المباحات.

وقال السيد بكري: الطريقة الأخذ بالأحوط في سائر الأعمال و لا يأخد بالرخص.

وقال الجرجاني: عبارة عن مراسم الله تعالى و أحكامه التكليفية المشروعة التي لا رخصة فيها، فإن تتبع الرخص سبب لتنفير الطبيعة المقتضية للوقفة و الفترة في الطريق.

و قال الشيخ محمد أمين الكردي الإربلي الشافعي: العمل بالشريعة و الأخد بعزائمها والبعد عن التساهل فيما لا ينبغي التساهل فيه.

و إن شئت قلت: اجتناب المنهيات ظاهرا و باطنا و امتثال الأوامر الإلهية بقدر الطاقة، أو هي: اجتناب المحرمات و المكروهات و فضول المباحات، و أداء الفرائض و ما استطاع من النوافل تحت رعاية عارف من أهل النهاية.

ثم من الصوفية من ليس له طريقة خاصة في التصوف بمعنى أنه لا يتأسس جماعة الطريقة، منهم: حسن البصري، و رابعة العداوية، و ذو النون المصري و غيرهم.

و منهم من له طريقة خاصة ثم يقتدي بهم تلامذتهم بسلسلة موصلة إلى رسول الله ﷺ، منهم: عبد القادر الجيلاني، و بهاء الدين النقشبندي، و أبو حسن الشاذلي و غيرهم.

و كانت الطريقة في أنحاء العالم كثيرة، منها: القادرية و النقشبندية و الشاذلية و التيجانية و الشطرية و المولوية و أحمدية و الكبروية و السهروردية و الخلوتية و الرفاعية و غيرها، و أعظمها في إندونيسيا الأول الثلاثة.

فصل: في الحقيقة

و هي وصول السالك للمقصود و هو معرفة الله سبحانه و تعالى و مشاهدة نور التجلي.

و قال الشيخ محمد أمين الكردي: إن الحقيقة ثمرة الطريقة، و أنه لا بد لسالك طريق الآخرة من الجمع بين هذه الثلاثة و عدم التعطيل لشيء منها، و ذلك لأن الحقيقة بلا شريعة باطلة و الشريعة بلا حقيقة عاطلة.

و قال الإمام مالك: من تشرع و لم يتحقق فقد تفسق، و من تحقق و لم يتشرع فقد تزندق، و من جمع بينهما فقد تحقق. فالشريعة شجرة، و الطريقة أغصانها، و الحقيقة أثمارها.

باب: في كبار الطريقة و سلاسلهم

فصل: في عبد القادر الجيلاني

هو مؤسس الطريقة القادرية، ولد بجيلان، وفي رواية كيلان، مسافة يوم من بغداد، نسبه متصل بالنبي من أبيه و من أمه.

فأما من أبيه فهو ابن أبي صالح موسى جنكي دوست ابن عبد الله بن يحيي الزاهد بن محمد بن داود بن موسى الثاني بن عبد الله الثاني بن موسى الجون بن عبد الله المحضي ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب و ابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله محمد ﷺ.

و أما من أمه فهو ابن فاطمة بنت السيد عبد الله الصومعي الزاهد بن أبي جمال الدين محمد بن السيد محمود بن السيد طاهر بن السيد أبي العطاء عبد الله بن السيد كمال الدين عيسى بن السيد علاء الدين محمد الجواد بن السيد علي الرضا بن السيد موسى الكاظم بن السيد جعفر الصادق بن السيد محمد الباقر بن السيد زين العابدين بن السيد الحسين الشهيد بن سيدنا علي و ابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله محمد ﷺ.

يأخذ علم الفقه من أبي الوفاء علي بن عقيل و ابن الخطاب الكلوذاني و ابن الحسين محمد ابن القاضى ابن يعلى و غيرهم، و قرأ الأدب على أبي زكريا يحيى ابن علي التبريزي.

وكان يقرأ في ثلاثة عشر علما: التفسير و الحديث و الخلاف و الأصول و النحو و القراءة و الصرف و العروض و المعاني و البديع و البيان و المنطق و التصوف، و كان يفتي على مذهب الإمام الشافعي و الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنهما.

ومن آثاره: كتاب الفتح الرباني و كتاب الغنية لطالبي طريق الحق و كتاب فتوح الغيب.

ومناقبه كثيرة مشهورة، منها: قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الفتاح الهروي خدمت الشيخ عبد القادر مدة أربعين سنة، و كان يصلي الصبح بوضوء العشاء هذه المدة كلها، و كان إذا أحدث جدد في وقته وضوءه و صلى ركعتين.

وقال ابن أبي الفتح: بت ليلة عنده فرأيته يصلي أول الليل يسيرا ثم يذكر الله تعالى إلى أن يمضي الثلث الأول من الليل ثم يقول: المحيط الرب الشهيد الحسيب الفعال الخلاق الخالق البارئ المصور، تسعة ألفاظ، و يرتفع في الهواء إلى أن يغيب عن بصري، ثم يصلي قائما على قدميه يتلو القرآن إلى أن يذهب الثلث الثاني، و كان يطيل سجوده جدا، ثم يجلس متوجها مراقبا إلى طلوع الفجر، ثم يأخذ في الابتهال و الدعاء و التذلل و يغشاه نور يكاد يخطف بالأبصار إلى أن يغيب فيه عن النظر.

و كان لا يعظم الأغنياء، و لا يقوم لأحد من الأمراء و لا أركان الدولة، و كان كثيرا يرى الخليفة قاصدا له و هو جالس فيدخل خلوته ثم يخرج على الخليفة بعد وصوله إعزازا لطريق الفقراء و لئلا يقوم للخليفة.

و ما وقف بباب وزير و لا سلطان، و لا قبل هدية من الخليفة قط حتى عتب الخليفة على عدم قبوله هديته، فقال له الشيخ: أرسل ما بدا لك و احضر معه، فحضر الخليفة عند الشيخ و معه شيء من التفاح و إذا كل تفاحة محشو دما و قيحا، فقال للخليفة: كيف تلومنا على عدم أكلنا من هذا و كله محشو بدماء الناس.

و أما سلسلة طريقته إلى رسول الله ﷺ فهي: هو عن أبي سعيد المخزومي، عن أبي الحسين الهيكاري، عن أبي الفرج الطرطوسي، عن عبد الواحد التيمي، عن أبي بكر دلف الشبلي، عن جنيد البغدادي، عن سري السقطي، عن معروف الكرخي، عن علي بن موسى الرضا، عن موسى الكاظم، عن جعفر الصادق، عن محمد الباقر، عن علي زين العابدين، عن حسين بن علي، عن علي بن أبي طالب، عن رسول الله ﷺ.

و أما سلسلة طريقته إلى الآن فهي: عنه إلى الشيخ عبد العزيز، ثم إلى محمد الهاتك، ثم إلى الشيخ شمس الدين، ثم إلى الشيخ شرف الدين، ثم إلى الشيخ زين الدين، ثم إلى الشيخ ولي الدين، ثم إلى الشيخ حسام الدين، ثم إلى الشيخ يحيى، ثم إلى الشيخ أبي بكر، ثم إلى الشيخ عبد الرحيم، ثم إلى الشيخ عثمان، ثم إلى الشيخ كمال الدين، ثم إلى الشيخ عبد الفتاح، ثم إلى الشيخ محمد مراد، ثم إلى الشيخ شريف الدين، ثم إلى الشيخ شمس الدين البغدادي، ثم إلى الشيخ أحمد خطيب شمباس، ثم إلى الشيخ عبد الكريم البنتني، ثم إلى الشيخ أسنوي البنتني، ثم إلى الشيخ عبد المطلب الكراواني، ثم إلى الشيخ علي الدين سالب البكاسي، ثم إلى الشيخ أحمد واسع البنتني، ثم إلى الفقير عماد الدين الجمفاكي البنتني، غفر الله لهم ومن له حق عليهم.

فصل: في أبي الحسن الشاذلي

هو مؤسس الطريقة الشاذلية، ولد في غمارة قرية من قرى مَرُكَ سنة خمسمائة و ثلاث و تسعين و توفي في مصر سنة ست مائة و خمس و ستين من الهجرة النبوية، نسبه متصل برسول الله ﷺ من فاطمة الزهراء.

تصوف بعبد السلام بن مشيش ثم سافر إلى تونس، وبنى زاويته الأولى فيها سنة ست مائة و خمس و عشرين، ثم أخذ إلى العزلة في جبل زغوان، و صحبه أبو محمد عبد الله بن سلامة الحبيبي يتخصص فيها بالعبادة و الرياضة و التقرب إلى الله تعالى حتى نال ما نال.

ثم رجع إلى الناس بعد أن صفا قلبه و هذبت حاله، ثم سكن في إسكندارية سنة ست مائة و اثنين و أربعين حتى توفي فيها.

و أما سلسلة طريقته إلى رسول الله ﷺ فهي: هو عن عبد السلام بن بشيش، عن عبد الرحمن المدني، عن تقي الدين الفقير بالتصغير، عن القطب فخر الدين، عن نور الدين أبي الحسن، عن القطب تاج الدين، عن القطب شمس الدين، عن زين الدين القزويني، عن إبراهيم البصري، عن أحمد المرواني، عن أبي محمد سعيد، عن القطب سعد، عن فتح السعود، عن

سعيد القزويني، عن أبي محمد جابر، عن الحسن بن علي، عن علي بن أبي طالب، عن رسول الله محمد ﷺ.

و أما سلسلة طريقته إلى الآن فهي: عنه إلى أبي العباس المرسي، ثم إلى ابن عطاء الله أحمد السكندري، ثم إلى داود الباخلي، ثم إلى محمد بحر الصفا، ثم إلى علي وفاء، ثم إلى يحيى القادري، ثم إلى أحمد بن عقبة الحضرمي، ثم إلى أحمد زروق، ثم إلى إبراهيم الفحام، ثم إلى علي الصنهاجي، ثم إلى عبد الرحمن المجذوب، ثم إلى يوسف الفاسي، ثم إلى محمد بن عبد الله، ثم إلى عبد الرحمن الفاسي، ثم إلى قاسم الخصاص، ثم إلى أحمد بن عبد الله، ثم إلى العربي بن عبد الله، ثم إلى علي بن عبد الرحمن العمراني، ثم إلى مولاي العربي الدرقاوي الحسيني، ثم إلى محمد بن أحمد البوزيدي الحسني، ثم إلى أحمد ابن محمد بن عجيبة الحسني، ثم عنه خلق كثير، والمنة لله العلي الكبير.

فصل: في بهاء الدين النقشبندي

هو مؤسس الطريقة النقشبندية، اسمه: بهاء الدين محمد البخاري النقشبندي، ولد في بخارى سنة سبعمائة و سبع عشرة من الهجرة النبوية، و توفي فيها سنة سبعمائة و واحدي وتسعين.

تعلم على الشيخ محمد ببا السماسي و الشيخ العارف الدكراني، ثم بعد تعلمه عليه كان من عمال السلطان الخليل في دمشق نحو اثنتي عشرة سنة.

ثم سافر إلى زاورتون و تصوف فيها وتزهد وتقرب إلى الله سبحانه وتعالى حتى كان ما كان.

و أما سلسلة طريقته إلى رسول الله ﷺ فهي: هو عن الشيخ محمد ببا السماسي، و هو عن علي الراميتني المشهور بالعزيزان، و هو عن محمود انجير الفغنوي، وهو عن عارف الريوكوري، وهو عن عبد الخالق الغجدواني ابن الإمام عبد الجميل، وهو عن أبي يعقوب يوسف الهمذاني، وهو عن أبي علي الفضل بن محمد الطوسي الفارمدي، وهو عن أبي

الحسن علي بن أبي جعفر الخرقاني، وهو عن أبي يزيد البسطامي، وهو عن الإمام جعفر الصادق سبط سيدنا القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وهو عن قاسم بن محمد، وهو عن سلمان الفارسي، وهو عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، وهو عن رسول الله ﷺ.

فصل: في محمد بن علي السنوسي

هو مؤسس الطريقة السنوسية، ولد في الجزائر سنة ألف و مائتين و اثنتين، و توفي سنة ألف و مائتين و ستة و سبعين من الهجرة النبوية و نسبه متصل برسول الله ﷺ من فاطمة الزهراء.

تعلم في مدرسة مازون علم التوحيد و الفقه و التفسير وغيرها ثم إلى مدرسة القراويين ثم بعد ذلك سافر إلى بيت الله ليحج.

وفي سفره إلى بيت الله سكن في تونس و تربولي و مصر و حجاز و فيه تفقه علم الفقه، ثم سافر إلى اليمن و تصوف إلى محمد بن إدريس حتى اشتهر أمره و صيته بالتصوف.

و من مصنفاته: الدرر السنية و الشموس الشارقة من أسانيد المغاربة و المشارقة والسلسبيل المعين في الطرائق الأربعين .

فصل: في أبي حفص السهروردي

هو مؤسس الطريقة السهروردية ولد في سهرورد سنة خمسمائة و تسع و ثلاثين و توفي في بغداد سنة ستمائة و اثنتين و ثلاثين من الهجرة النبوية.

تعلم أساس الدين من عمه أبي نجيب عبد القادر السهروردي، و تصوف من عبد القادر الجيلاني و أبي محمد بن عبد الله و ابن القاسم بن فضلان، عاش في خلافة الناصر من الدولة العباسية، و بنى له رباط الطريقة و المسجد ليستقيم فيه و ليرشد المريدين فيه.

فصل في أحمد التيجاني

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن سليمان التيجاني، مؤسس الطريقة التيجانية.

ولد في الجزائر سنة ألف و مائة و خمسين، و توفي في يوم السابع عشر من شوال سنة ألف و مائتين و ثلاثين من الهجرة النبوية.

حفظ القرآن في سابع سنة من عمره، و مات أبوه حين بلغ عمره ست عشرة سنة و كان باعثا لسفره إلى طلب العلم عن قريته فسافر هو إلى أنحاء البلاد أزمانا حتى مكث في الحجاز، ثم سافر إلى القاهراء وفيها يجد شيخا ينصحه أن يرجع إلى وطنه لنشر الطريقة فيه.

و بينما هو في خلوته إذ رأى رسول الله ﷺ في منامه يأمره أن ينشر طريقته للناس، و كان من أوراد طريقته: قراءة الاستغفار مائة مرة، والصلاة على النبي مائة مرة، و التهليل مائة مرة، تقرأ بعد الصبح والعصر.

فصل: في أحمد الرفاعي

اسمه السيد أحمد بن السيد أبي الحسن علي الرفاعي الحسيني، ونسبته إلى الرفاعي من اسم جده رفاعي المغربي الحسيني.

هو مؤسس الطريقة الرفاعية، ولد في قرية حسن في العراق سنة خمسمائة و اثنتي عشرة، و توفي في قرية أم عبيدة بين الواسط و البصرة سنة خمسمائة و واحد و سبعين من الهجرة النبوية.

كان يتيما في سابع سنة من عمره، و كفله عمه منصور البطائحي.

تعلم على أبي الفضل الواسطي وأم عبيدة، و له تلاميذ من كبار علماء زمانهم، منهم: شريف الدين بن أبي السامع الهاشمي الواسطي و علي بن جمال الحداد و تقي الدين الطوسي و الفريف الواسطي و علي الواسطي وأحمد عزة الفروق.

و كان من أوراد الطريقة الرفاعية أن يعمل الخلوة في كل سنة سبعة أيام يكثر في اليوم الأول ذكر: لا إله إلا الله، و في اليوم الثاني: يا الله، و في اليوم الثالث: يا وهاب، و في اليوم الرابع: يا حي، و في اليوم الخامس: يا مجيب، و في اليوم السادس: يا معطي، و في اليوم السابع: يا قدوس.

و منها أيضا أن يقرأ في ليلة الجمعة و الإثنين حزب التحفة السنية.

و منها أيضا أن يقرأ في كل اللقاء الجماعي سورة الفاتحة و الأعلى و القدر و ألم نشرح و الإخلاص و المعوذتين و الفاتحة ثم الصلاة على النبي ﷺ و الأشعار الحامدة قدر النبي ﷺ و يضرب الطبل فيها.

باب فى الرباط و الصحبة

فصل: في الرباط

قال الله تعالى: ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو و الآصال رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب و الأبصار﴾ { النور:٣٦-٣٧}.

و قال تعالى أيضا: ﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين﴾ { التوبة: ١٠٨}.

أصل الرباط: ما يربط فيه الخيول، ثم قيل لكل ثغر يدفع أهله عمن وراءهم رباط.

فالمجاهد المرابط يدفع عمن وراءه.

و المقيم في الرباط على طاعة الله يدفع به وبدعائه البلاء عن العباد و البلاد لأنه ربط نفسه على طاعة الله تعالى و انقطع إلى الله فأقام الله لهم الدنيا خادمة.

قال رسول الله ﷺ: »من انقطع إلى الله كفاه الله مؤنته و رزقه من حيث لا يحتسب و من انقطع إلى الدنيا و كله الله إليها.«

و الرباط يحتوي على شبان و شيخ و أصحاب خدمة و أرباب خلوة.

فالشيخ بالزاوية أليق نظرا إلى ما تدعو إليه النفس من النوم و الراحة و الاستبداء بالحركات و السكنات، فللنفس شوق إلى التفرد و الاسترسال في وجوه الرفق.

و الشاب يضيق عليه مجال النفس بالقعود في بيت الجماعة و الانكشاف لنظر الأغيار لتكثر العيون عليه فيتقيد و يتأدب.

ولا يكون هذا إلا إذا كان جمع الرباط في بيت الجماعة مهتمين بحفظ الأوقات و ضبط الأنفاس و حراسة الحواس.

و أرباب الخدمة هم من دخل الرباط مبتدئا و لم يذق طعم المعلم و لم يتنبه لنفائس الأحوال يؤمر بالخدمة أولا لتكون عبادته خدمة و يجذب قلوب أهل الله إليه بحسن الخدمة فتشمله بركة ذلك و يعين الإخوان المشتغلين بالعبادة. و الشاب الطالب إذا خدم أهل الله المشغولين بالعبادة يشاركهم في الثواب و حيث لم يؤهل لأحوالهم السنية يخدم من أهل لها. فخدمته لأهل القرب علامة حب الله تعالى.

و أرباب الخلوة هم الشبان الذين تخلل اللغو و اللغط أوقاتهم فيلزمون الوحدة و العزلة في موضع خلوتهم ليحبسوا نفوسهم عن دواعي الهوى و الحوض فيما لا يعني.

فصل: في الصحبة

قال تعالى: ﴿و اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ { ال عمران: ١٠٣ }.

وقال تعالى أيضا: ﴿هو الذي أيدك بنصره و بالمؤمنين و ألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم﴾ { الانفال:٦٢-٦٣ }.

قال رسول الله ﷺ » :كونوا عباد الله إخوانا كما أمركم« رواه مسلم و غيره.

و قال ﷺ» :إن أحبكم إلى الله تعالى الذين يألفون و يؤلفون و إن أبغضكم إلى الله تعالى المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الإخوان« رواه الطبراني.

وقال ﷺ» :ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله و رسوله أحب إليه مما سواهما، و أن يحب المرء لا يحبه إلا لله تعالى، و أن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار« رواه البخاري.

و لاينبغى للمريد أن يصحب من كان متأهلا للبطالة و التساهل في الدين لأن صحبة من كان كذلك بلاء محض و مصيبة عظمى، إذ الطبع يسرق من الطبع، و النفس مجبولة على الإقتداء.

قال ابن عطاء الله السكندري: لا تصحب من لا ينهضك حاله و لا يدلك على الله مقاله. و معنى الحال المنهضة ههنا هو أن تكون همته متعلقة بالله تعالى مرتفعة عن المخلوقين لا يلجأ في حوائجه إلا إلى الله تعالى، و لا يتوكل في أموره إلا على الله تعالى، قد سقط اعتبار الناس من عينه فلا يرى منهم ضرا و لا نفعا، و أسقط نفسه من عينه فلا يشاهد لها فعلا و لا يقضي لها حظا، و يكون في أعماله كلها جاريا على مقتضى الشرع من غير إفراط و لا تفريط. و هذه صفة العارفين الموحدين.

فصحبة من هذه حاله و إن قلت عباداته و نوافله مأمونة الغائلة محمودة العاقبة جالبة لكل فائدة دينية و دنيوية. و لما فقدت الصحبة على هذه الصفة فالعزلة و الخلوة أولى للمريد.

قال أبو بكر الوراق: ما ظهرت الفتنة إلا بالخلطة من لدن آدم إلى يومنا هذا، و ما سلم إلا من جانب الخلطة.

و قيل: السلامة عشرة أجزاء: تسعة في الصمت و واحدة في العزلة.

و قيل: الخلوة أصل، و الخلطة عارض، فليلزم الأصل و لا يخالط إلا بقدر الحاجة، و إذا خالط لا يخالط إلا بحجة، و إذا خالط يلازم الصمت فإنه أصل و الكلام عارض و لا يتكلم إلا بحجة.

فصل: في آداب الصحبة

من آداب الصوفية في الصحبة: حفظ حرمات المشايخ، و حسن العشرة مع الإخوان، و النصيحة للأصاغر، و ترك صحبة من ليس في طبقتهم، و ملازمة الإيثار، و مجانبة الادخار، و المعاونة في أمر الدين و الدنيا.

و منها: التغافل عن زلل الإخوان، و النصح فيما يجب فيه النصيحة، و كتم عيب صاحبه.

و منها: القيام بخدمة الإخوان و احتمال الأذى منهم، فبذلك يظهر جوهر الفقير.

و منها: أن لا يرون لأنفسهم ملكا يختصون به. قال إبراهيم بن شيبان: كنا لا نصحب من يقول: نعلي.

و منها: أنهم إذا استثقلوا صاحبا يتهمون أنفسهم و يتسببون في إزالة ذلك من بواطنهم لأن انطواء الضمير على مثل ذلك للمصاحب وليجة في الصحبة.

و منها: تقديمهم من يعرفون فضله و التوسعة له في المجلس و الإيثار بالموضع.

و منها: ترك صحبة من همه شيء من فضول الدنيا، قال تعالى: ﴿فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا﴾ {النجم: ٢٩}.

و منها: بذل الانصاف للإخوان و ترك مطالبة الانصاف.

و منها: لين الجانب و ترك ظهور النفس بالصَّولة.

و منها: أن لا يجري في كلامهم: لو كان كذا لم يكن كذا، و ليت كان كذا، و عسى أن يكون كذا، فإنهم يرون هذه التقديرات عليهم اعتراضا.

و منها: حذر المفارقة و الحرص على الملازمة.

و منها: أن لا يقولوا عند الدعاء :إلى أين؟ و لم؟ و بأي سبب؟ قال بعض العلماء: إذا قال الرجل للصاحب: قم بنا، فقال: إلى أين؟ فلا تصحبه.

و منها: أن لا يتكلفوا للإخوان.

و منها: المداراة و ترك المداهنة.

و منها: رعاية الاعتدال بين الانقباض و الانبساط.

و منها: الاستغفار للإخوان بظهر الغيب و الاهتمام لهم مع الله تعالى في دفع المكاره عنهم.

و منها: أن لا يحوجوا صاحبهم إلى المداراة و لا يلجئوه إلى الاعتذار و لا يتكلفوا للصاحب ما يشق عليه بل يكونوا للصاحب من حيث هو موثرين مراد الصاحب على مراد أنفسهم.

فآداب الصحبة كثيرة، و الحكايات في ذلك يطول نقلها، فليطالع من أرادها في كتاب عوارف المعارف للسهروردي الذي منه نقلت. اهـ.

فصل: في آداب المريد مع الشيخ

من آداب المريد مع شيخه: أن يوقر شيخه و يعظمه ظاهرا و باطنا معتقدا أنه لا يحصل مقصوده إلا على يده.

و منها: أن يكون مستسلما منقادا راضيا بتصرفات الشيخ يخدمه بالمال و البدن لأن جوهر الإرادة و المحبة لا يتبين إلا بهذا الطريق.

و منها: أن يلزم السكوت و لا يقول شيئا بحضرته من كلام حسن إلا إذا استأمر الشيخ و وجد من الشيخ فسحة له في ذلك.

و منها: أن لا يحدث نفسه بطلب منزلة فوق منزلة الشيخ بل يحب للشيخ كل منزلة عالية و يتمنى للشيخ عزيز المنح و غرائب المواهب.

و منها: أن يكون مع الشيخ لا ينبسط برفع الصوت و كثرة الضحك و كثرة الكلام إلا إذا بسطه الشيخ.

و منها: أن لا يناديه إلا ما يحبه الشيخ.

و منها: ترك الاستعجال في الدخول و صبره إلى أن يخرج الشيخ من موضع خلوته.

و منها: أنه كلما أشكل عليه شيء من حال الشيخ يذكر قصة موسى مع الخضر.

و منها: أن لا يكتم على الشيخ شيئا من حاله و مواهب الحق عنده و ما يظهر له من كرامة و إجابة.

و منها: أنه إذا كان له كلام مع الشيخ في أمر دينه أو أمر دنياه لا يستعجل بالإقدام على مكالمة الشيخ و الهجوم عليه حتى يتبين له من حال الشيخ أنه مستعد له و لسماع كلامه.

و منها: أن لا يكون مراده باجتماعه على شيخه شيئا غير التقرب إلى الله تعالى.

ومنها: أن يسلب اختيار نفسه باختيار شيخه في جميع الأمور كلية كانت أو جزئية عبادة أو عادة، و من علامة المريد الصادق أنه لو قال له شيخه: ادخل التنور، دخل.

و منها: أن لا يتجسس على أحوال الشيخ مطلقا، فربما كان في ذلك هلاكه، كما وقع لكثير، و أن يحسن به الظن في كل حال.

و منها: أن يحفظ شيخه في غيبته كحفظه في حضوره.

و منها: أن يرى كل بركة حصلت له من بركات الدنيا و الآخرة ببركته.

و منها: أن لا يفشى سر شيخه و لو نشر بالمناشر.

و منها: أن لا يمشي أمام شيخه.

و منها: أن لا يتزوج امرأة طلقها شيخه أو مات عنها.

و منها: أن يحسن عيال شيخه بالخدمة و غيرها فإن ذلك مما يميل قلب شيخه إليه.

و منها: أن لا يجلس متربعا و لا على سجادة أمام الشيخ بل ينبغي له في مجلسه التواضع و التصغر والاشتغال بالخدمة.

و منها: أن يبادر بإتيان ما أمره به بلا توقف و لا إهمال من استراحة و لا سكون قبل تمام ذلك الأمر.

و منها: الفرار من مكاره الشيخ، وكراهة ما يكره شيخه، و لا يجالس من كان يكره شيخه، ويحب من يحبه.

و منها: أن لا يجلس في المكان المعد له، فاحترام الشيخ توفيق و هداية، و إهمال ذلك خذلان و عقوق.

و قال أبو عثمان: الأدب عند الأكابر و في مجالسة السادات من الأولياء يبلغ بصاحبه إلى الدرجات العلا و الخير في الأولى والعقبى، و الله أعلم.

فصل: في آداب المريد مع نفسه

من آداب المريد مع نفسه: أن يذكر الله في جميع أوقاته قياما و قعودا و على جنبه.

و منها: أن يترك أصحاب السوء، و يجالس الأخيار، فصحبة الأخيار تورث الخير، و صحبة الأشرار تورث الشر.

و منها: أن يترك حب الدنيا ناظرا إلى الآخرة لأن محبة الله لا تدخل قلبا فيه حب الدنيا.

و منها: أن لا ينام على جنابة و أن يكون مديم الطهارة.

و منها: أن لا يطمع فيما في أيدي الناس.

و منها: أنه إذا تعسر رزقه و قست عليه قلوب العباد فليصبر و لا يضجر.

و منها: أن يقلل النوم و لا سيما وقت الأسحار فإنه وقت الإجابة.

و منها: أن يتحرى أكل الحلال و إذا أكل يرفع يده عن الأكل قبل الشبع بشيء يسير.

و منها: أن يصون لسانه عن لغو الحديث، و قلبه عن جميع الخواطر، فإن من حفظ لسانه و استقام قلبه انكشفت له الأسرار.

و منها: أن يغض بصره عن المحرمات ما أمكن، فإن النظر إليها سم قاتل و سهم صائب في قلبه فيقتله و لا سيما إذا نظر بشهوة.

و منها: ترك المزاح فإنه يميت القلب و يعقبه ظلمة.

و منها: ملازمة المشاورة و ترك المناظرة و المباحثة بالجَدَل مع طلبة العلم.

و منها: ترك الضحك بالقهقهة لأنها مميتة القلب.

و منها: ترك حب الجاه و الرياسة لأنها قاطعة عن طريق الحق.

و منها: أن يكون متواضعا لأن التواضع يزيد العبد رفعة.

و منها: أن يكون خائفا من الله عز وجل راجيا عفوه و لا يرى لعبادته قدرا .

و منها: أن يعلق بمشيئة الله عند كل قول أو فعل بأن يقول: إن شاء الله.

و منها: أن يجعل له وقتا خاصا ينفرد فيه بالدرس و بذكر ربه.

و منها: أن لا يستبطئ الفتح عليه بل يتعلم ويعبد الله لوجهه سواء فتح عين قلبه و رفع عنه الحجاب أم لا.

فالحاصل أن آداب المريد مع نفسه جميع ما أمر الله به و نهى عنه و ما سن به رسول الله ﷺ.

ونكتفي بآداب المريد مع نفسه عن آداب الشيخ لأن الشيخ الآن هو المريد قبل، إلا أن مرجع آداب الشيخ آداب رسول الله ﷺ ، و آداب المريد آداب الصحابة، و رأيت في كتاب تنوير القلوب جواهر بديعة من آداب الشيخ فليطالع.

باب: في التخلي والتحلي والتجلي

اعلم أن التخلي عن الرذائل و التحلي عن الفضائل هو حقيقة السلوك عندهم.

ولا يتم ذلك إلا لمن وفقه الله لمعرفة نفسه و ما ركبت عليه من مذام الصفات لأن من عرف ذلك منها لا يزال متهما لها مسيئا ظنه بها أخذا حذره منها و إلا وقع فيما يسخط مولاه من حيث لا يشعر.

فينبغي لمريدي سلوك الآخرة أن يتخلي أولا عن الصفات المذمومات كلها دقيقها و جليلها، ثم يتحلي بعد ذلك بالصفات المحمودات فيظهر حينئذ التجلي أي تجلي الله لعباده تعالى.

فالصفات المذمومات كثيرة مثل الكبر و العجب والرياء و السمعة و الحقد و الحسد و حب الجاه و المال.

و يتفرع عن هذه الأصول فروع خبيثة من العداوة و البغضاء و التذلل للأغنياء و استحقار الفقراء و ترك الثقة بمجيئ الرزق و خوف سقوط المنزلة من قلوب الخلق و الشح و البخل و طول الأمل و الأشر و البطر و الغل و الغش و المباهاة و التصنع و المداهنة و القسوة و الفظاظة و الغلظة و الغفلة و الجفاء و الطيش و العجلة و الحدة و الحمية و ضيق الصدر و قلة الرحمة و قلة الحياء و ترك القناعة و حب الرياسة و طلب العلو و الانتصار للنفس إذا نالها الذل و ذهاب ملك النفس إذا رد عليه قوله إلى غير ذلك من النعوت الذميمة و الأخلاق اللميمة.

فهذه كلها ينبغي للمريد أن يطهرها و يزكيها بأنواع الرياضات و المجاهدات.

فإذا طهر قلبه و تزكت نفسه و اتصفت بمحاسن الصفات التي تزينه بين العباد و ينال من قرب ربه غاية المراد فيظهر عليه حينئذ آثار حميدة من التواضع لله و الخشوع بين يديه و التعظيم لأمره و الحفظ لحدوده و الهيبة و الخوف منه و التذلل لربوبيته و الإخلاص في عبوديته و الرضا بقضائه و الرؤية لمنته عليه في منعه و إعطائه.

و يتصف فيما بين خلقه بالرأفة و الرحمة و اللين و الرفق و سعة الصدر و الحلم و الاحتمال و الصيانة و النزاهة و الأمانة و الثقة و العطف و التأني و الوقار و السخاء و الجود و الحياء و البشاشة و النصيحة و سلامة الصدر، إلى غير ذلك من أخلاق الإيمان التي ينال بها العبد غاية السعادة و الحسنى و الزيادة.

فإذا تخلى عن الرذائل و تحلى بالفضائل تظهر له التجليات: التجلي بطريق الأفعال، و التجلي بطريق الصفات، و التجلي بطريق الذات.

- فالتجلي بطريق الأفعال يحدث صفو الرضا و التسليم.
- و التجلي بطريق الصفات يكسب الهيبة و الأنس.
- و التجلي بالذات يكسب الفناء و البقاء.

و من أراد أن يزيد فهمه في هذا فليطالع شرح الحكم للشرقاوي .

باب : في العزلة

قال السيد بكري المكي: اعلم أن الناس في العزلة ليسوا سواء فمنهم من لا حاجة للخلق إليه في علم و بيان حكم، فهذا الأولى له التفرد و عدم المخالطة إلا في جمعة أو جماعة أو عيد أو حج أو مجلس علم أو حاجة في معيشة لا بد له منها و إلا فيواري شخصه و يلزم كنه أي محله لا يعرف و لا يعرف.

فإن أراد عدم مخالطتهم ألبتة لا في جمعة و لا في جماعة و لا في غيرهما لما يرى في ذلك من مصلحته و فراغ قلبه فليصر إلى موضع لا تلزمه فيه الجمعة و الجماعة كالبرية و رؤوس الجبال إن أمن على نفسه من تلاعب الشيطان و غوايته و من أذية غير الشيطان من بني آدم ولكن الأولى له الجلوس بين الناس مع الاعتزال عنهم إلا فيما تقدم لأنه أحصن له.

و من الناس من يكون قدوةً في العلم بحيث يحتاج الناس إليه في أمر دينهم لبيان حق أو رد على مبتدع أو دعوة إلى خير بفعل أو قول أو نحو ذلك، فلا يسع هذا الرجل الاعتزال عن الناس، بل ينصب نفسه بينهم ناصحا لخلق الله ذابا عن دين الله مبينا لأحكام الله تعالى لقوله ﷺ »إذا ظهرت البدع و سكت العالم فعليه لعنة الله.«

و يحتاج حينئذ في صحبة الناس إلى صبر طويل و سلم عظيم و نظر لطيف و استعانة بالله دائمة، و يكون في المعنى منفردا عنهم و إن كان بالشخص معهم فإن كلموه كلمهم، وإن زاروه عظمهم على قدرهم و شكرهم، و إن سكنوا عنه و أعرضوا اغتنم ذلك منهم، و إن كانوا في خير و حق ساعدهم، و إن صاروا إلى لغو و شر خالفهم و رد عليهم و هجرهم و زجرهم ثم يقوم بجميع حقوقهم من الزيارات و العيادات و قضاء الحاجات التي ترفع إليه ما أمكنه، و لا يطالبهم بالمكافئة، و لا يرجو ذلك منهم، و لا يريهم من نفسه استيحاشا لذلك، و يباسطهم بالبذل، و ينقبض عنهم في الأخد إن أعطوا، و يحتمل منهم الأذى، و يظهر لهم البشر، و يتجمل لهم بظاهره، و يكتم حاجته عنهم، فيقاسيها و يعالجها في سره و باطنه، ثم ينظر إلى نفسه فيجعل لها حظا من العبادة الخالصة.

قال الغزالي: وفوائد العزلة ست :

الأولى: التفرغ للعبادة و الفكر و الاستئناس بمناجاة الله تعالى و استكشاف بأسرار الله تعالى في أمر الدنيا و الآخرة و ملكوت السموات و الأرض.

الثانية: التخلص من المعاصي التي تنشأ عن المخالطة غالبا، و هي الغيبة و النميمة و الرياء و السكوت عن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و مسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة و الأعمال الخبيثة.

الثالثة: الخلاص من الفتن و الخصومات و صيانة الدين.

الرابعة: الخلاص من شر الناس و إيذائهم بالغيبة أو بسوء الظن أو بالاقتراحات و الاطماع الكاذبة التي يعسر الوفاء بها أو بالنميمة أو الكذب.

الخامسة: انقطاع طمع الناس عن المعتزل و انقطاع طمعه عنهم.

السادسة: الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى و مقاساة حمقهم و أخلاقهم.

باب : في الرياضة والمجاهدة

الرياضة عبارة عن تهذيب الأخلاق النفسية فإن تهذيبها تمحيصها عن خلطات الطبع و نزعاته.

و المجاهدة في اللغة: المحاربة، و في اصطلاحهم: محاربة النفس الأمارة بالسوء بتحميلها ما يشق عليها بما هو مطلوب في الشرع.

قال الغزالي: إن طريق المجاهدة مضادة الشهوات و مخالفة الهوى في كل صفة غالبة على نفس المريد.

و المجاهدة الركن الأعظم في حصول المقصود و نيل المطالب العالية التي منها المشاهدة.

من لم يجاهد نفسه أي يحارب نفسه الأمارة بالسوء بتحميلها ما يشق عليها بما هو مطلوب شرعا في بدء أمره أي بداية أمره لم يَلْقَ من هذه الطريقة مقدار خرذلة بل يكون محجوبا عنها.

قال أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى تعالى: من لم يكن في بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شمة.

و قال أيضا: سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله تعالى يقول: من لم يكن له في بدايته قومة لم يكن له في نهايته جلسة.

و قال بعضهم: بالجد و الاجتهاد تدرك غاية المرام، و بالعزمات الصحاح يشرق صباح الظلام، و ما حصلت الأماني بالتواني، ولا ظفر بالأمل من استوطأ فراش الكسل.

وأعظم أمر الرياضة قلة الأكل والشرب والنوم والصمت.

والمجاهدة: تزكية النفس من رذائلها أي من الأوصاف الذميمة كالعجب و الكبر و الرياء و الحسد و الغضب و غيرها.

فصل: في تقليل الأكل

قال رسول الله ﷺ » :من قل طعامه صح بطنه و صفا قلبه، و من كثر طعامه سقم بطنه و قسا قلبه.«

و عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال: رسول الله ﷺ» :إن أهل الشبع في الدنيا هم أهل الجوع غدا في الآخرة« رواه الطبراني.

و عنه أيضا قال النبي ﷺ» :من شبع و نام قسا قلبه.«

و عن الحسن قال النبي ﷺ» :الفكر نصف العبادة، و قلة الطعام هي العبادة.«

و قال رسول الله ﷺ» :لا صحة مع كثرة النوم، و لا صحة مع كثرة الأكل، و لا شفاء بحرام.«

و قال السيد بكري المكي: للشبع آفات خمسة:

أولها: ثقل الجسم، و ذلك لأن الشبع يثقل القوى و البدن و يغيرهما.

و ثانيها: قسوة القلب، لما روي: أن إقلال الطعام يورث صحة البطن و صفوة القلب و إكثار الطعام يورث سقم البطن و قسوة القلب.

و ثالثها: إزالة الفطنة أي إفساد الذهن و إبطال الحفظ.

قال سيدنا علي كرم الله وجهه: البطنة تذهب الفطنة.

و قال الدارني رضي الله تعالى عنه: إذا أردت حاجة من حوائج الدنيا فلا تأكل حتى تقضيها، فإن الأكل يغير العقل، و هذا أمر ظاهر علمه من اختبره.

و رابعها: تضعيف الجسم عن عبادة ربه، فإن من المعلوم يقينا أن العبادة لا يجيء منها شيء إذا امتلأ البطن، و إن أكرهت النفس و جوهدت بضرب الحيل فلا يكون لتلك العبادة لذة و لا حلاوة، ولذا قيل: لا مطمع بحلاوة في العبادة مع كثرة الأكل، و أي نور في نفس بلا عبادة و في عبادة بلا لذة و لا حلاوة.

و خامسها: جلب النوم، و ذلك لأن من أكل كثيرا شرب كثيرا، و من شرب كثيرا نام كثيرا، و من نام كثيرا أضاع خيرا كثيرا.

قال إبراهيم بن أدهم: صحبت أكثر عباد الله في جبل لبنان و كانوا يوصونني: إذا أنت رجعت إلى أبناء الدنيا فعظهم و أخبرهم بأربع كلمات:

الأولى: من يكثر الأكل لا يجد للعبادة لذة.

و الثانية: و من يكثر النوم لا يجد في عمره بركة.

و الثالثة: و من يخالط الناس لا يستقيم طريقه إلى الآخرة.

و الرابعة: و من يكثر الكلام فيما لا يعنيه يخرج من الدنيا على غير الإسلام.

نسأل الله العافية و السلامة في الدنيا و الآخرة.

فصل: في فوائد الجوع

قال الغزالي في الإحياء: في الجوع عشرة فوائد:

الفائدة الأولى: صفاء القلب و إيقاد القريحة و إنفاذ البصيرة.

الفائدة الثانية: رقة القلب و صفائه الذي به يتهيأ لإدراك لذة المثابرة و التأثر بالذكر.

الفائدة الثالثة: الانكسار و الذل و زوال البطر و الفرح و الأشر الذي هو مبدأ الطغيان و الغفلة عن الله تعالى.

الفائدة الرابعة: أن لا ينسى بلاء الله و عذابه ولا ينسى أهل البلاء.

الفائدة الخامسة: كسر شهوات المعاصي كلها و الاستيلاء على النفس الأمارة بالسوء.

الفائدة السادسة: رفع النوم و دوام السهر.

الفائدة السابعة: تيسير المواظبة على العبادة.

الفائدة الثامنة: صحة البدن و دفع الأمراض فإن سببها كثرة الأكل و حصول فضلة الأخلاط في المعدة و العروق.

الفائدة التاسعة: خفة المؤنة، فإن من تعود قلة الأكل كفاه من المال قدر يسير.

الفائدة العاشرة: أن يتمكن من الإيثار و التصدق بما فضل من الأطعمة على اليتامى و المساكين.

قال الغزالي في تقليل الطعام: فسبيل الرياضة فيه التدريج، فمن اعتاد الأكل الكثير إن انتقل دفعة إلى القليل لم يحتمله مزاجه و ضعف و عظمت مشقته، فينبغي أن يتدرج إليه قليلا قليلا، و ذلك بأن ينقص قليلا قليلا من طعامه المعتاد، فإن كان يأكل رغيفين مثلا و أراد أن يرد نفسه إلى رغيف واحد فينقص كل يوم ربع سبع رغيف و هو أن ينقص جزءا من ثمانية و عشرين أو جزءا من ثلاثين جزءا، فيرجع إلى رغيف في شهر و لا يستضر به ولا يظهر أثره فإن شاء فعل في ذلك بالوزن و إن شاء بالمشاهدة، فيترك كل يوم مقدار لقمة و ينقصه عما أكله بالأمس.

فصل: في تقليل النوم

قال تعالى: ﴿كانوا قليلا من الليل ما يهجعون و بالأسحار هم يستغفرون﴾ {الذاريات:١٧-١٨}.

قال رسول الله ﷺ» :ثلاثة تورث قسوة القلب حب النوم و حب الراحة و حب الأكل.«

و قالت أم سليمان بن داود: لا تنم الليل فإن من نام الليل جاء يوم القيامة و هو مفلس من الحسنات.

و أوحى الله إلى داود عليه السلام : يا داود كذب من ادعى محبتي فإذا جنه الليل نام عني.

و كان عمر أيام خلافته لا ينام ليلا و لا نهارا، و إنما هي خفقات برأسه و هو جالس، و كان يقول: إذا نمت في الليل ضيعت نفسي، و إن نمت في النهار ضيعت رعيتي، و أنا مسئول عنهم.

و كان طاووس رحمه الله تعالى يفرش فراشه من العشاء و يصير يتقلب عليه و يئن إلى الصباح لا ينام، و كثيرا ما كان يقوم من العشاء إلى الفجر شاخصا، و كثيرا ما يمكث جالسا مطرقا إلى الفجر لا يتكلم، وكان يقول: إن خوف جهنم أطار نوم العابدين.

وكان السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم يعرفون وجوه من نام عن قيام الليل، و يقولون: ما رأيناك في الحضرة الإلهية، و كان يعيب بعضهم على بعض النوم على فراش وُطِئ له.
قال الشاعر:

بقدر الكد تكتسب المعالي ۞ فمن طلب العلا سهر الليالي
تروم العز ثم تنام ليلا ۞ يغوص البحر من طلب اللآلي
علو الكعب بالهمم العوالي ۞ وعز المرء في سهر الليالي
تركت النوم ربي في الليالي ۞ لأجل رضاك يا مولى الموالي

ثم إذا كان لا بد له النوم فلينم على الطهارة، و لا ينام إلا إذا غلبه النوم ناويا به العون على العبادة و الإيفاء لحق النفس تائبا من كل ذنب مستغفرا سليم القلب عازما على الخير لجميع المسلمين.

ثم إذا كانت للمريد زوجة ونام معها في فراش واحد وهو على طهارة فانتقض بسبب ذلك فلا بأس به ولا يفوت عليه فائدة النوم على الطهارة ما لم يكن مسترسلا في غفلة و تلامس أي منبسطا و مستأنسا بذلك حتى أورثته لذة ذلك الغفلة عن مولاه، فإن كان كذلك كان فيه بأس عليه و فاتته فائدة النوم على الطهارة و هي عروج الروح إلى العرش، و أن الرؤيا تكون صادقة. أفاد ذلك الشيخ السيد بكري.

فصل: في المداومة على قيام الليل

قال تعالى: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾ {الاسراء:٧٩}.

وقال أيضا: ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل﴾.{المزمل:٢٠}

وقال تعالى أيضا: ﴿إن ناشئة الليل هي أشد وطئا و أقوم قيلا﴾ {المزمل:٦}.

قال رسول الله ﷺ» :عليكم بقيام الليل و لو ركعة.«

و قال ﷺ أيضا: »يعقد الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ و ذكر الله تعالى انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطا طيب النفس، و إلا أصبح خبيث النفس« متفق عليه.

و قال أيضا: »إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا إلا أعطاه إياه.«

و قال سليمان الدارني: أهل الليل في ليلهم أشد لذة من أهل اللهو في لهوهم.

و في الحديث: »إن الله تعالى يباهي ملائكته بالعبد إذا قام يتهجد من الليل في الليلة الباردة و يقول: انظروا إلى عبدي خرج من تحت لحافه و ترك الدنيا و امرأته الحسنى يناجيني بكلامي: أشهدكم إني قد غفرت له.«

و كان الإمام زين العابدين يقول: نام يحيى بن زكريا ليلة عن ورده، و كان قد شبع من خبز الشعير، فأوحى الله تعالى إليه: يا يحيى لو اطلعت على جنة الفردوس اطلاعة لذاب جسمك و لبكيت الصديد بعد الدموع و للبست الحديد بعد المسوح.

و روي أن الجنيد رؤي في النوم فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: طاحت تلك الإشارات و غابت تلك العبارات و فنيت تلك العلوم و نفذت تلك الرسوم و ما نفعنا إلا ركعات كنا نركعها عند السحر.

و كان عمر بن عبد العزيز يأتي المساجد المهجورة بالليل فيصلي فيها ما يسره الله تعالى فإذا كان وقت السحر وضع جبهته على الأرض و مرغ خده على التراب، و لم يزل يبكي إلى طلوع الفجر، فلما كان في بعض الليالي فعل ذلك على العادة فلما فرغ و رفع رأسه من صلاته و تضرعه وجد رقعة خضراء قد اتصل نورها بالسماء مكتوب عليها: هذه براءة من النار من الملك العزيز إلى عمر بن عبد العزيز.

فصل: في الأسباب التي بها يتيسر قيام الليل

قال الإمام الغزالي: اعلم أن قيام الليل عسير على الخلق إلا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهرا و باطنا.

فأما الظاهرة فأربعة أمور :

الأول: أن لا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم و يثقل عليه القيام.

الثاني: أن لا يتعب نفسه بالنهار في الأعمال التي تعيا بها الجوارح و تضعف بها الأعصاب فإن ذلك أيضا مجلبة للنوم.

الثالث: أن لا يترك القيلولة بالنهار فإنها سنة للاستعانة على قيام اليل.

الرابع: أن لا يحتقب الأوزار بالنهار فإن ذلك مما يقسي القلب و يحول بينه و بين أسباب الرحمة.

و أما الميسرات الباطنة فأربعة أمور:

الأول: سلامة القلب عن الحقد على المسلمين و عن البدع و عن فضول هموم الدنيا.

الثاني: خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل فإنه إذا تفكر في أهوال القيامة و دركات جهنم طار نومه و عظم حذره .

الثالث: أن يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيات و الأخبار و الآثار حتى يستحكم به رجائه و شوقه إلى ثوابه فيهيجه الشوق لطلب المزيد و الرغبة في درجات الجنان.

الرابع: - و هو أشرف البواعث - الحب لله وقوة الإيمان بأنه في قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مناج ربه و هو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بباله.

فصل: في فضيلة الصمت

قال رسول الله ﷺ» :العافية عشرة أجزاء تسعة في الصمت و العاشرة في العزلة عن الناس« رواه الديلمي.

و قال ﷺ أيضا: »من صمت نجا.«

و قال أيضا »أصل الإيمان السكوت إلا عن ذكر الله تعالى.«

و قال أيضا: »الصمت زين للعالم و ستر للجاهل.«

و قال أيضا: »الصمت حكم، و قليل فاعله.«

و روي أن معاذا قال: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ فأخرج رسول الله ﷺ لسانه ثم وضع عليه أصبعه.

و قال أنس بن مالك: قال ﷺ» :لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه، و لا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، و لا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه.«

و قال ﷺ» :من سره أن يسلم فليلزم الصمت.«

و قال ابن عمر: قال رسول الله ﷺ» :من كف لسانه ستر الله عورته، و من ملك غضبه وقاه الله عذابه، و من اعتذر إلى الله قبل الله عذره.«

و عن صفوان بن سليم قال: قال رسول الله ﷺ » :ألا أخبركم بأيسر العبادة و أهونها على البدن: الصمت و حسن الخلق.«

و قال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ» :من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت.«

و قال ﷺ» :من كثر كلامه كثر سقطه، و من كثر سقطه كثرت ذنوبه، و من كثرت ذنوبه كانت النار أولى به.«

باب فى توزيع الأوقات

ينبغي للمريد أن يوزع أوقاته في الطاعات و يفصلها و يحددها لأن النفس إذا وردت على نمط واحد من الطاعات أظهرت الملل و الاستثقال لكونها مجبولة على السامة.

فكان من اللطف بها أن يروح بالنقل من نوع إلى نوع آخر بحسب كل وقت لتزيد لذتها، و تعظم باللذة رغبتها، و تدوم بدوام الرغبة مواظبتها، و أن لا يجعل وقته مهملا من غير عبادة حال كونه متساهلا في وقته فيصير كالبهائم لا يدري بماذا يشتغل فيذهب أكثر أوقاته ضائعا فقد خسر خسرانا مبينا.

قد كتب سلفنا الصالح في توزيع الأوقات، وبدأه بعد ظهور الفجر الصادق، فإذا ظهر الفجر الصادق فصل سنة الصبح و فرضه حال كونك متخشعا متدبرا لما تقرأه في صلاتك، ثم تشرع بعد ذلك في الذكر إلى أن طلعت الشمس، و الأولى أن تلازم موضعك الذي صليت فيه من غير انتقال.

قال عليه السلام : »من صلى الفجر في جماعة ثم قعد بذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة و عمرة تامة تامة.«

و النوم في هذا الوقت مكروه جدا، فإن غلبك النوم فلتقم في مصلاك قائما مستقبل القبلة، فإن لم يذهب النوم بالقيام تخط خطوات نحو القبلة و تتأخر الخطوات كذلك، و لا تستدبر القبلة ففي إدامة استقبال القبلة و ترك الكلام و النوم و دوام الذكر في هذا الوقت أثر كبير و بركة غير قليلة، كما أفاده السهروردي.

ثم إذا طلعت الشمس كرمح صل ركعتي الإشراق بنية الإشراق، يقرأ في الأولى بعد الفاتحة: ﴿الله نور السموات﴾ إلى قوله تعالى: ﴿والله بكل شيء عليم﴾، وفي الثانية: ﴿في بيوت أذن الله﴾ إلى قوله: ﴿بغير حساب﴾.

ثم إذا فرغ من الصلاة المذكورة اتل القرآن مرتلا متدبرا باكيا. قال رسول الله ﷺ : »اقرأوا القرآن و ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا.«

ثم اشتغل بالدعاء و الذكر و الفكر إلا إذا طرأ عليك الأمور المتعلقة بالناس من عيادة مريض و تشييع جنازة و معاونة على بر و تقوى و حضور مجلس علم و ما يجرى مجراه من قضاء حاجة مسلم و غيرها فاشتغل بذلك لأنه من السنة النبوية ثم إذا قضيته عدت إلى وظائفك حتى جاء ربع النهار فصليت الضحى ركعتين أو أربع أو ست أو ثمانية ركعات.

ثم بعد ذلك اشتغل بما شئت من ذكر أو قراءة أو دعاء أو تفكر أو تعلم أو تعليم قدر ساعة ثم ان لم تكن صائما فكل بعد ذلك بطعام حلال لا شبهة فيه ثم نم نومة القيلولة لاجل السهر في الطاعة و هو لهذه النية سنة و ان لم يوفق للقيام في الليل.

و في هذا النوم فوائد :

منها: الإعانة على قيام الليل.

و منها: استراحة النفس و صفاء القلب لعمل بقية النهار، فإن النفس إذا استراحت عادت جديدة.

ثم انتبه قبل الزوال من النوم حال كونك متسللا بمقدار تتمكن فيه من الاستعداد للصلاة بالوضوء حتى تكون قبل دخول وقت الصلاة مستقبل القبلة ذاكرا و مسبحا و تاليا.

فمهما زالت الشمس و ابتدأ المئذن الأذان فاصبر إلى الفراغ من جواب أذانه، ثم قم إلى إحياء ما بين الأذان و الإقامة، و صل في هذا الوقت أربع ركعات قبلية للظهر، ثم صل الظهر بجماعة، ثم صل بعد الظهر ركعتين او أربعا.

ثم بعد ذلك لمن دام سهره في الليل ينام نومة خفيفة في النهار الطويل بين الظهر و العصر، و إلا فالصلاة فيه أفضل إن كان عابدا و إن كان متعلما أو عالما فالاشتغال بالدرس أو التأليف إلى العصر، ثم صل قبل العصر أربع ركعات، فإن أمكنه تجديد الوضوء لكل فريضة كان أكمل و أتم و لو اغتسل كان أفضل، فكل ذلك له أثر ظاهر في تنوير الباطن و تكميل الصلاة، ثم بعد صلاة العصر اقرأ القرآن و الدعاء و الذكر و غير ذلك من العبادات إلا الصلاة إلى المغرب، و لعالم له طلاب فالتعليم فيه و نشر العلم أفضل.

ثم استعد لاستقبال الليل بالوضوء و الطهارة و أدم التسبيح و الاستغفار بحيث تغيب الشمس و أنت في التسبيح و الاستغفار، ثم صل المغرب بعد الغروب، و صل بعدها ركعتين بعدية.

قال رسول الله ﷺ» :إن أفضل الصلوات عند الله صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر و لا عن مقيم فتح بها صلاة الليل و ختم بها صلاة النهار فمن صلى المغرب و صلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرين في الجنة« رواه الطبراني في الأوسط.

ثم اشتغل فيما بين العشائين بالصلاة و تلاوة القرآن و غيرها من العبادات إلى أذان العشاء، فصل العشاء جماعة.

ثم في إحياء الليل سبع مراتب كما قال الغزإلي في الإحياء:

الأولى: إحياء كل الليل، و هذا شأن الأقوياء الذين تجردوا لعبادة الله تعالى و تلذذوا بمناجاته، و صار ذلك عراء لهم وحياة لقلوبهم فلم يتعبوا بطول القيام و ردوا المنام إلى النهار في وقت اشتغال الناس، و قد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء.

المرتبة الثانية: أن يقوم نصف الليل، هذا لا ينحصر عدد المواظبين عليه من السلف، و أحسن طريقها أن ينام الثلث الأول من الليل و السدس الآخر منه حتى يقع قيامه في جوف الليل ووسطه فهو الأفضل.

المرتبة الثالثة: أن يقوم ثلث الليل فينبغي أن ينام النصف الأول و السدس الأخير، وبالجملة نوم آخر الليل محبوب لأنه يذهب النعاس بالغداة وكانوا يكرهون ذلك، و يقلل صفرة الوجه و الشهرة به، فلو قام أكثر الليل و نام سحرا قلت صفرة وجهه و قل نعاسه.

المرتبة الرابعة: أن يقوم سدس الليل أو خمسه، و أفضله أن يكون في النصف الأخير و قبل السدس الأخير منه.

المرتبة الخامسة: أن لا يراعي التقدير، فإن ذلك إنما يتيسر لنبي يوحى إليه أو لمن يعرف منازل القمر و يوكل به من يراقبه و يواظبه و يوقظه ثم ربما يضطرب في ليالي الغيم و لكنه يقوم من أول الليل إلى أن يغلبه النوم فإذا انتبه قام فإذا غلبه النوم عاد إلى النوم، فيكون له في الليل نومتان و قومتان و هو من مكابدة الليل و أشد الأعمال و أفضلها، وقد كان هذا من أخلاق رسول الله ﷺ.

المرتبة السادسة: - وهي الأقل - أن يقوم مقدار أربع ركعات أو ركعتين أو تتعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبل القبلة ساعة مشتغلا بالذكر و الدعاء، فيكتب من جملة قوام الليل برحمة الله و فضله، وقد جاء في الأثر: صل من الليل ولو قدر حلب شاة.

المرتبة السابعة: أن لا يهمل إحياء ما بين العشائين و الورد الذي بعد العشاء ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نائما و يقوم بطرفي الليل. اهـ.

باب فى الذكر

قال الله تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ {البقرة:١٥٢}.

و قال تعالى أيضا: ﴿اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ {الاحزاب:٤١}.

و قال أيضا: ﴿الذين يذكرون الله قياما و قعودا و على جنوبهم﴾ {العمران:١٩١}.

و قال تعالى: ﴿فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم﴾ {النساء:١٠٣}.

و قال رسول الله ﷺ» :ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل بين الفارين.«

و قال ﷺ» :يقول الله تعالى : أنا مع عبدي ما ذكرني و تحركت شفتاه بي.«

و سئل رسول الله ﷺ :أي الأعمال أفضل؟ فقال: »أن تموت و لسانك رطب بذكر الله تعالى.«

فصل: في فضيلة مجالس الذكر

قال رسول الله ﷺ» :ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله تعالى إلا حفت عليهم الملائكة و غشيتهم الرحمة و ذكر الله تعالى فيمن عنده.«

و قال ﷺ» :ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء: قوموا مغفورا لكم قد بدلت لكم سيئاتكم حسنات« رواه أحمد.

و قال أيضا ﷺ» :ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله سبحانه و تعالى فيه و لم يصلوا على النبي ﷺ إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة.«

فصل: في كيفية الذكر بلا إله إلا الله

أن يبتدئ الذاكر قول »لا« من تحت السرة و يمدها حتى ينتهي بها إلى الدماغ في الرأس. و يبتدئ بعدها بهمزة »إله« من الدماغ بالتخيل و ينزل بها حتى ينتهي إلى كتفة الأيمن. و يبتدئ بعدها بهمزة »إلا الله« بالتخيل من الكتفة الأيمن و يمدها بالنزول على كرسي الصدر حتى ينتهي إلى قلب الصنوبري في الجانب الأيسر تحت عظام الجنب و الضلع، فيضرب الجلالة بقوة النفس المحبوس على سويداء القلب حتى يتأثر بحرارته جميع البدن بحيث يحترق جميع الأجزاء الفاسدة في البدن و يتنور ما في البدن من أجزاء الصالحة بنور الجلالة فيحيط على محل اللطائف. كل هذه عند القادرية.

باب: في اصطلاحات الصوفية

فصل: في المعرفة

المعرفة: عبارة عن نور يقذفه الله على قلب العبد، فيرى بذلك النور أسرار ملكه و يشاهد غيب ملكوته و يلاحظ صفات جبروته.

و تحصل المعرفة بالمجاهدة غالبا و قد تكون من غيرها على وجه نادر.

و قال الإمام القشيري: المعرفة صفة من عرف الله بأسمائه و صفاته ثم صدق الله في معاملاته، ثم تنقى عن أخلاقه الرديئة و آفاته، ثم طال بالباب وقوفه، و دام بالقلب اعتكافه، فحظى من الله بجميع إقباله، و صدق في جميع أحواله، و انقطعت عنه هواجس نفسه، و لم يصغ بقلبه إلى خاطر يدعوه إلى غيره.

فإذا صار من الخلق أجنبيا، و من آفات نفسه بريا، و من المساكنات و الملاحظات نقيا، و دام في السر مع الله مناجاته، و حق في كل لحظة إلى الله رجوعه، و صار محدثا من قبل الحق سبحانه و تعالى بتعريف أسراره فيما يجري من تصاريف أقداره، يسمى عند ذلك عارفا، و تسمى حالته معرفة، فبمقدار أجنبيته من نفسه تحصل معرفته بربه تعالى.

فصل: في المجاهدة

المجاهدة: عبارة عن محاربة النفس الأمارة بالسوء بتحميلها ما يشق عليها بما هو مطلوب شرعا في بداية أمر المريد.

قال الإمام القشيري رحمه الله تعالى: من لم يكن في بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شِمَةً.

فصل: في الأحوال

الأحوال: عبارة عن كل مواهب علوية سماوية، ينزل في قلب العبد من المعارف الربانية و الأسرار الروحانية، و هي التي تقتضي ميل القلب إلى الأعمال، فبحسب الأحوال تنوعت أجناس الأعمال، هذا على ما قاله ابن عطاء الله السكندري في الحكم.

فصل: في المقامات

المقامات هي: عبارة عما يتوصل إليه بنوع تصرف يتحقق به بضرب تطلب و مقاسات تكلف. فمقام كل واحد موضع إقامته عند ذلك.

و قال السهروردي: فالحال سمي حالا لتحوله، و المقام مقاما لثبوته و استقراره، و قد يكون الشيء بعينه حالا ثم يصير مقاما.

فصل: في الخوف و الرجاء

الرجاء هو: عبارة عن ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده من الله تعالى من الرحمة و المحبة و غفران الذنوب و قبول الأعمال الصالحة.

و الخوف: عبارة عن تألم القلب و احتراقه بسبب توقع مكروه و الاستقبال من الله من الذلة و السخط و العذاب و رد الأعمال الصالحة.

فصل: في المحبة

المحبة هي: عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء الملذ.

فكل ما في إدراكه لذة و راحة فهو محبوب عند المدرك، و ما في إدراكه ألم فهو مبغوض عند المدرك، فمحبة الله هي لذة إدراكه تعالى في جميع ما أتى به إليه.

فصل: في المكاشفة

المكاشفة هي: عبارة عن الإطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبة و الأمور الحقيقة وجودا أو شهودا.

فصل: في التدبير

التدبير هو: عبارة عن تقدير الشخص في نفسه أحوالا يكون عليها على ما تقتضيه شهوته و اهتمامه لأجل ذلك.

فصل: في التجريد

التجريد هو: عبارة عن عدم تشاغل الأسباب التي يتوصل بها إلى غرض ما ينال في الدنيا لأجل التقرب من الله تعالى.

فصل: في الأكوان

الأكوان هي: عبارة عن وجود العالم من حيث هو عالم لا من حيث أنه حق من الآدميين و غيرهم.

فصل: في الغيبة

الغيبة: عبارة عن غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق بل من أحوال نفسه بما يرد عليه من الحق إذا عظم الوارد و استولى عليه سلطان الحقيقة فهو حاضر بالحق غائب عن نفسه و عن الخلق.

فصل: في المشاهدة

المشاهدة: عبارة عن رؤية الحق في الأشياء، و ذلك هو الوجه الذي له تعالى بحسب ظاهريته في كل شيء.

فصل: في المحاضرة

المحاضرة: عبارة عن حضور القلب مع الحق في الاستفاضة من أسماءه تعالى.

فصل: في المحادثة

المحادثة: عبارة عن خطاب الحق للعارفين من عالم الملك و الشهادة كالنداء من الشجرة لموسى عليه السلام.

فصل: في المجذوب

المجذوب: من اصطفاه الحق لنفسه و اصطفاه بحضرة أنسه و أطلعه بجناب قدسه ففاز بجميع المقامات و المراتب بلا كلفة المكاسب والمتاعب.

فصل: في الكرامة

الكرامة هي: ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة، فما لا يكون مقرونا بالإيمان و العمل الصالح يكون استدراجا و إهانة، وما يكون مقرونا بدعوى النبوة يكون معجزة.

فصل: في الولي

الولي هو: من توالت طاعته من غير أن يتخللها عصيان، و يتوالى عليه إحسان الله و إفضاله.

و الولي هو: العارف بالله و صفاته بحسب ما يمكن المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات و الشهوات وظهر له غالبا الكرامة.

فصل: في المراقبة

المراقبة هي: استدامة علم العبد باطلاع الرب عليه في جميع أحواله.

فصل: في الاتحاد

الاتحاد هو: شهود وجود الحق الواحد المطلق الذي الكل موجود بالحق فيتحد به الكل من حيث كون كل شيء موجودا به معدوما بنفسه، لا من حيث إن له وجودا خاصا اتحد به فإنه محال.

فصل: في الحلول

الحلول: عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر كحلول ماء الورد في الورد، أو عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفا للآخر كحلول الماء في الكوز.

فصل: في الحكمة الإلهية

الحكمة الإلهية هي: عبارة عن العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه و العمل بمقتضاه.

فصل: في علم اليقين و عين اليقين و حق اليقين

فعلم اليقين: ما كان من طريق النظر و الاستدلال. و عين اليقين: ما كان من طريق الكشف و النوال. و حق اليقين: ما كان بتحقيق الانفصال عن لوث الصلصال بورود زائد الوصال.

فصل: في الفناء و البقاء

الفناء: سقوط الأوصاف المذمومة كما أن البقاء وجود الأوصاف المحمودة.
و الفناء فنئان: أحدهما: ما ذكرناه و هو بكثرة الرياضة. و الثاني: عدم الإحساس بعالم الملك و الملكوت و هو بالاستغراق في عظمة الباري و مشاهدة الحق، و إليه أشار المشايخ بقولهم: الفقر سواد الوجه في الدارين، يعني الفناء في العالمين بحيث لا وجود لصاحبه أصلا ظاهرا و باطنا دنيا و آخرة.

فصل: في السلام

السلام هو: تجرد النفس عن المحنة في الدارين. نسأل الله السلام آمين.

خاتمة

نسأل الله حسن الخاتمة و المغفرة و الرحمة لنا و لآبائنا وأمهاتنا و أصولنا و فروعنا إلى يوم القيامة و لجميع مشايخنا و لوالديهم، اللهم لا تخيبنا و إياهم آمين.

لقد تم بحمد الله البصير هذا الكتاب (التعارف للمبتدئين في سلوك التصوف) في نصف ليلة عرفة من ذي الحجة سنة ألف و أربعمائة وست وعشرين من الهجرة النبوية في المعهد الإسلامي السلفي نهضة العلوم الجمفاكي البنتني على يد صاحبه الضعيف عماد الدين سبط عثمان الجمفاكي البنتني. و صلى الله على سيدنا محمد وسلم كثيرا، و الحمد لله رب العالمين.

الفهرس

